



الصراع في أوكرانيا «معالم تسوية في الأفق»

أثارت تصريحات رئيس مكتب الأمين العام لحلف الناتو «ستيان جنسن» التي ربط فيها إمكانية قبول عضوية أوكرانيا في الحلف مقابل التنازل عن جزء من أراضيها لصالح روسيا، أثارت موجة من ردود الأفعال المتباينة بين من يراها قناعة غربية بأن المستوى الذي وصل إليه الصراع يفرض ضرورة إعادة ضبط الاستراتيجية الغربية على النحو الذي يُفضي إلى توفير محدّدات مشتركة تحفظ للجميع جزءاً من المكاسب المنتظرة، ومن يراها مناورة غربية لتحميل روسيا مسؤولية استمرار الصراع.

التصريحات تعبر في أحد أهم مضامينها على بوادر وصول الصراع إلى مرحلة «المساومة»، مرحلة لم تغب معطياتها في أي مرحلة من مراحل الصراع، إلا أن الإبداء عنها في الوقت الحالي يطرح العديد من التساؤلات حول ماهية دوافع الغرب من وراء ذلك؟

د. عبد الرزاق غراف



عديدة هي الدوافع التي تأتي وراء احتمالية مراجعة النهج الاستراتيجي الغربي الحالي على النحو الذي أشارت إليه هذه التصريحات، سواء منها تلك المتعلقة بروسيا أو المتعلقة بأوكرانيا وحلفائها الغربيين، غير أن البارز في هذه الدوافع يمكن ذكره فيما يلي:

أولاً: فيما يخص الجانب الروسي:

- مراجعة روسيا لنهجها الاستراتيجي على النحو الذي أعاد لها الكثير من التوازن، بعد حالة الارتباك والقصور الاستراتيجي الذي أبانت عليه في السنة الأولى من الحرب والذي كلفها الكثير من الخسائر البشرية والمادية كانت سبباً مباشراً في فقدانها لأكثر من 0.0% من الأراضي التي سيطرت عليها خلال الأسابيع الأولى من الحرب.

- تأقلم الإنتاج الصناعي لقطاع الدفاع الروسي في توفير متطلبات الجهد الحربي، حيث يعتبر هذا العامل أحد أهم عوامل الانتكاسة التي حصلت بعد الغزو، كما كان من ضمن مكامن القصور الاستراتيجي الروسي في قراءة السيناريوهات المتوقعة في حال تحوّل العملية الخاصة في أوكرانيا إلى صراع مفتوح يتجاوز حدود المتوقع في بداية الحرب.

- بداية تحقيق التعبئة العامة الجزئية التي أعلنها الجيش الروسي للنتائج المرجوة منها، بعد الخسائر البشرية الهائلة التي تعرّض لها الروس في السنة الأولى من الحرب، والتي ورغم تضارب المصادر في تحديد حجمها إلا أنها تتجاوز 60 ألف قتيل حسب بعض التقارير المحايدة.

- تجاوز السلطات العليا في روسيا لتداعيات أزمة «تمرد فاغنر» بأقل الخسائر الممكنة، وعدم تأثيرها على موقع الجيش الروسي في جبهات القتال، وهو ما أعاد الكثير من الاستقرار والتوازن للجيش الروسي، بعد أسابيع من التوتر المتبادل مع قيادة قوات «فاغنر» المصحوب بمحاولات غربية لاستغلال تلك الخلافات.

- مرونة الاقتصاد الروسي في التعامل مع موجة العقوبات الغربية التي من الواضح أنها لم تأت بالمرجو منها من نتائج، قياساً لقدرة روسيا على ضبط التداعيات المتوقعة على استقرار الجبهة الاجتماعية فضلاً عن طمأنة النخبة البرجوازية الروسية على قدرة النظام الروسي على التقليل من خسائرهم المرتبطة بهذه العقوبات.

- قدرة روسيا النسبية على كسر العزلة السياسية التي يحاول الغرب التسويق لها على أنها من ضمن مخرجات الفشل الروسي في أوكرانيا، حيث تصاعدت رغبة روسيا في إفشال الجهود الغربية في هذا المجال عبر عديد من القمم التي استضافتها على غرار القمة الروسية الأفريقية في «سان بطرسبورغ» التي شهدت حضور 49 دولة أفريقية، ومؤتمر موسكو للأمن الدولي بمشاركة 76 دولة.

ثانياً: فيما يخص الجانب الغربي:

- عدم تحقيق الهجوم الأوكراني المضاد بعد أكثر من شهرين من انطلاقه للمكاسب المنتظرة من ورائه وهو ما طرح جملة من التساؤلات حول السيناريوهات المنتظرة للتعامل مع هذا الوضع، والتي يعدّ تصريحات مسؤول الناتو حول طبيعة التسوية المنتظرة أحدها.

- صعوبة استمرار حجم الدعم الغربي لأوكرانيا بهذا المستوى من السخاء وهو الذي تجاوز قيمة 0.0 مليار دولار، في ظل العجز عن تحقيق المنتظر من مكاسب على الأرض.

- تخوفات الغرب من مآلات الإمعان في الضغط على روسيا ومخاطر طبيعة رد الفعل الروسي الناجم عن ذلك، سواء فيما تعلق بـ:

- إمكانية لجوء روسيا للسلاح النووي في حالة ما أصبح الأمر مرتبطاً بمستقبل دور روسيا كقوة كبرى في النظام الدولي.

- الدفع بروسيا نحو بناء شراكة استراتيجية غير متوازنة مع الصين، يشجّع الأخيرة على التسريع من وتيرة تصفية ملفات خلافها مع الغرب وفي مقدمتها ملف «تايوان»، كما يساهم في وضع أسس استراتيجية لحالة من «تكامل الأدوار» بين الطرفين في مختلف مناطق التنافس والصراع الجيو سياسي الدولي الحاصل اليوم.

- بداية إرهاصات الانتخابات الرئاسية الأمريكية وما يتطلبه التنافس الحزبي الأمريكي من محدّدات، تجعل إدارة «جو بايدن» أمام ضرورة عدم المغامرة بمستقبلها السياسي عبر ضحّ المزيد من المساعدات لأوكرانيا دون تحقيق المرجو من نتائج، وهو ما يعدّ انتكاسة استراتيجية سيحسن الحزب الجمهوري استغلالها وتسويقها للرأي العام الأمريكي بغض النظر عن المرشح الذي ستفرزه انتخاباته الداخلية الجارية.

- مستقبل التوافق الغربي (الأوروبي _ الأمريكي) الذي ورغم نجاحه في تجاوز الكثير من المخاوف التي كانت منتظرة، وهو الذي كان أحد أهم مواطن قصور الرؤية الاستراتيجية لروسيا، التي كانت تُعول على انشقاق الصف الغربي، إلا أن الاستمرار على هذا المستوى من التوافق غير مضمون، خاصة إذا سقط رهان استمرار إدارة «جو بايدن» لعهداً ثانية، فضلاً عن تطور بوادر عدم الرضى الأوروبي من مستوى الطموح الأمريكي في إفشال روسيا قدر الإمكان.

قراءات أولية في ردود الأفعال:

تتبادر العديد من القراءات الأولية لإمكانية تجسيد ما قدمه مسؤول حلف «الناتو» من مقترحات وتحويلها إلى رؤية شاملة للتسوية، إلا أن الثابت أن المواقف الأولية للأطراف المنغمسة في الصراع توحى مبدئياً بإمكانية تحول هذه المقترحات إلى محدّدات يمكن البناء عليها لإيجاد تسوية يوفر مخرجاً للجميع.

فالاقترحات في حد ذاتها وبغض النظر عن الهدف الحقيقي من ورائها تعبّر مبدئياً عن توفر الحد الأدنى لدى الغرب بإمكانية إيجاد مخرج للصراع الحاصل بالنظر للتغيرات المستمرة سواء منها الداخلية أو الإقليمية أو الدولية، وأن الوضع الحالي يتوفر على بعض الظروف الملائمة لمثل هكذا سيناريو.

إلا أن الجزم بإمكانية أن تكون هذه الاقتراحات بمثابة قناعة راسخة لدى الغرب هو أمر لا يمكن إثباته حالياً، وهذا في ضوء ردود الأفعال الأولية على هذه المقترحات من الأطراف الرئيسية في الصراع، والتي جاءت على النحو الآتي:

روسيا: اعتبرت على لسان نائب وزير خارجيتها أن البناء على الاقتراحات المذكورة من مسؤول الناتو مرهونة بجملة من الشروط التي لطالما وضعتها روسيا للحل، في حين ذهب نائب رئيس مجلس الأمن القومي الروسي إلى أبعد من ذلك عندما أشار إلى أن العاصمة كييف تدخل ضمن نطاق الأراضي المتنازع عليها التي أشار إليها مسؤول الناتو.

إلا أن الثابت من رد الفعل الروسي أن تسوية النزاع لا يمكن أن تكون إلا عبر تأمين روسيا لمخاوفها، وهذا لن يكون إلا عبر سيناريوهين:

الأول: ضمان وضع محايد لأوكرانيا خارج حلف «الناتو» وتسقيف قدرة أوكرانيا على التسلح، فضلاً على تسوية وضع الأقاليم الناطقة بالروسية في أوكرانيا مع الحفاظ على وضع شبه جزيرة القرم الحالي.

الثاني: تقسيم أوكرانيا إلى جزئين شرقي موالي لروسيا وغربي موالي لأوكرانيا، وهو سيناريو يلزمه الكثير من المحطات ليصل إلى صيغته النهائية في ظل صعوبة تحديد الوضع الجيوسياسي لكل طرف والتداعيات الناجمة عنه.

الولايات المتحدة: على لسان منسق الاتصالات الاستراتيجية في البيت الأبيض اعتبرت اقتراحات مسؤول الناتو غير دقيقة، وفي ظل صعوبة تصديق اتخاذ «الناتو» لقرار بهذا الحجم دون الضوء الأخضر الأمريكي، فإنه يمكن قراءة هذا التناقض بين الموقعين انطلاقاً من محدّدين:

الأول: وجود تضارب في رؤى أعضاء الناتو، عبّرت بموجبه تلك الاقتراحات عن تصور جناح دون الآخر داخل الناتو، وهو سيناريو لو ثبت فسكون حتماً دلالة أولية على أن التوافق الغربي - الغربي داخل الناتو ليس بدون سقف، وهو ما سيؤثر على مستقبل الموقف الغربي في أوكرانيا.

الثاني: على أن الاقتراحات تحمل من الأهداف غير ما هو معلن عنه، فهو بمثابة تسويق غربي لمختلف الأطراف الدولية على أن روسيا تتحمل مسؤولية استمرار الصراع، فضلاً عن كونه رسالة للداخل الروسي شعبياً ونخباً، على أن النظام الروسي وفي مقدمته الرئيس «فلاديمير بوتين» يتحمل مسؤولية الضريبة البشرية التي يدفعها الجيش الروسي على جبهات القتال، كما يتحمل مسؤولية الضغوط الاجتماعية المتزايدة جرّاء استمرار العقوبات الغربية، وليست الطبقة البرجوازية الروسية بمعزل عن الأهداف الغربية من وراء هذه المقترحات، وهي التي أثبتت تفهمها لسياسة النظام الروسي رغم الخسائر الاقتصادية الضخمة التي لحقت بها جرّاء ذلك.

أوكرانيا: استنكرت هذه الاقتراحات على لسان سكرتير مجلس أمنها القومي، في حين رفض مستشار الرئيس الأوكراني هذه المقترحات مبدئياً عدم استعداد بلاده للتنازل عن أي جزء من أراضيها، غير أن الثابت أن النظام الأوكراني وفي ظل اعتماده الشبه كلي على الدعم الغربي في مواجهة روسيا، فإن ذلك سيقص من هامش المناورة لديه بشكل يجعله أمام حتمية الانصياع إلى الرغبة الغربية في أي تسوية مستقبلية.

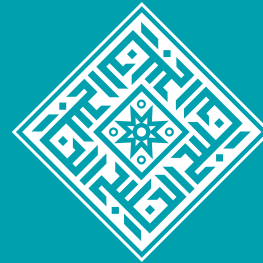
من كل الأطراف، وعلى أساس ذلك سيتضح مدى إمكانية تغليب سيناريو التسوية هذا عمّا سواه من سيناريوهات، وهو أمر ليس بالهين بالنظر لما دفعته كل الأطراف المتصارعة من ثمن لغاية الآن تجعل من الصعوبة البالغة الخروج من هذا الصراع دون تحقيق جزء من مكاسبها المرجوة.

عموما وبغض النظر عن مدى مصداقية الغرب في إيجاد أرضية مواتية للدفع نحو سيناريو التسوية في أوكرانيا، إلا أن اللافت في الاقتراحات التي أطلقها الناتو عبر رئيس مكتب أمينه العام، توهي ببوادر في الأفق تستند لجملة من الدوافع قد تتخذ كروية أولية لرسم معالم المرحلة القادمة من إدارة الصراع، كون الغالب على هذه الاقتراحات أنها بمثابة عملية «جس نبض» لقراءة ردود الأفعال الأولية

باحث أول بمركز الخليج للأبحاث



Gulf Research Center
Knowledge for All



مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

